الطاعة الرهبانية

1.4. الطاعة بحسب الإنجيل

لا تذكر الأناجيل الإزائية "الطاعة" بوضوح، وغالبا ما كان يُنظر إلى عبارة "تعال واتبعني" (مرقس 10: 21) التي قالها يسوع للشاب الغني، باعتبارها الكلمة الأساسية التي تعبر عن المشورة الإنجيلية للطاعة. لكن علينا الاعتراف بأن هذه العبارة موجهة إلى كل إنسان، هي دعوة يسوع لكل مسيحي بأن تكون الأولوية الأولى في حياته هي لله الذي يفضله على أي شيء آخر، فلا يقع في خطأ الشاب المتعلق بأمواله. ذات الأمر ينطبق على دعوة التلاميذ الأوائل: "فرجعوا بالسفينتين إلى البر، وتركوا كل شيء وتبعوه" (لوقا 5: 11). فالدعوة وِجهت للتلاميذ الأربعة لكي يحققوا مهمة البر، وتركوا كل شيء وتبعوه" (لوقا 5: 11). فالدعوة وجهت للتلاميذ الأربعة لكي يحققوا مهمة محددة: أن يكونوا "صيادي بشر" (متى 14: 19). الأمر هنا يتوقف، كما بين غبرييل رانكي ، على الطاعة الرسولية وليس الطاعة الرهبانية. هي طاعة للخدمة والتي فيها يطيع الكاهن أسقفه ورؤساءه، إلا أن طاعته ليست طاعة رهبانية بالمعنى الحصري للكلمة.

أدخل القديس بولس كلمة الطاعة "هيباكوي" في اللاهوت المسيحي وذلك في رسالته إلى روميه عند اشارته إلى موقف ذاك الذي يصغي ويستقبل الكلمة الآتية من أعلى ويتطابق معها. هو موقف يسوع نفسه "هو في صُورَةِ الله، ما اَعتبَرَ مُساواتَهُ لله غَنيمَةً لَه، بَل أخلى ذاتَهُ واتَّخَذَ صُورَةَ العبدِ صارَ شَبهًا بالبَشرِ وظَهرَ في صورةِ الإنسانِ تَواضَعَ، أطاعَ حتى الموتِ، الموتِ على الصَّليبِ" (فيلبي 2: 6-8).

بالتجسد تجرد يسوع من "مساواته لله" ووضع ذاته في موقف الإصغاء المتواضع الذي يجعله تحت إرادة الآب، لهذا يقول عنه نفسه "إن الآب أعظم مني". وطعامه هو أن يعمل بمشيئة أبيه التي تطلب منه التخلي والتضحية لهذا يصلي في البستان قائلاً: "ولكِنْ لا كما أنا أُريدُ، بَلْ كما أنتَ تُريدُ" (مرقس 14: 36). ويعبر بولس عن هذا الموقف باستخدامه هذه الكلمة "هيباكوي" في رسالته إلى روميه: "وكما أنّهُ بِمَعصِيةِ إنسانٍ واحدٍ صارَ البشرُ خاطِئينَ، فكذلِكَ بِطاعَةِ إنسانٍ واحدٍ عبر البشرُ خاطِئينَ، فكذلِكَ بِطاعَةِ إنسانٍ واحدٍ عبر البشرُ البشرُ أبرارًا" (روميه 5: 19).

أطاع يسوع الآب بصفته البشرية، فهو اقترب من الآب من خلال إنسانيته وضعفه، وليس بصفته الكلمة، الأقنوم الثاني من الثالوث. يكتب لنا كاتب الرسالة إلى العبرانيين عن معاناة

يسوع الإنسان في طاعته للآب بقوله: "وهوَ الذي في أيّام حياتِهِ البَشَرِيَّةِ رفَعَ الصَّلُواتِ والتَّضَرُّعاتِ بِصُراخٍ شَديدٍ ودُموع إلى الله القادِرِ أَنْ يُخلِّصَهُ مِنَ المَوتِ، فاَستَجابَ لَه لِتَقواهُ. وتعَلَّمَ الطاعَةَ، وهوَ الابنُ، بما عاناهُ مِنَ الألَّم" (إلى العبرانيين 5: 7- 8). لقد تعلم المسيح وهو في الجسد الطاعة، فهي ليست أمرًا بديهيًا. ولنا أن نتصور دُعاءه وصُراخه ودُموعه وألمه، فالطاعة ليست أمرًا سهلاً. وصل الصراع بين مشيئته ومشيئة الآب إلى ذروته في بستان الزبتون عندما كان يُصلى: "لا كما أنا أشاء، بل كما أنت تشاء" (متى 26: 39).

وبربط الوحي هنا بين الألم والطاعة. فالصراع الحقيقي يأتي من اخضاع الذات لنعمة الله وبين ألم رؤية النفس على حقيقتها من حيث كونها تتوق لتحقيق ذاتها بمعزل عن الله وهذه هي الخطيئة في مجملها. وهذه "النعم" الكلية التي تقود يسوع إلى الموت هي التي تصرع الخطيئة. وهذا الموت انتصار: "لذلك رفعه الله..." (فيلي 2: 9- 11).

طاعة المسيح .2.4

يتم التركيز أحيانا على حدث التجسد لوصف طاعة يسوع للآب، انطلاقًا من نص بولس إلى أهل فيلي، لكن في هذا انتقاص من مسيرة يسوع كإنسان وطاعته المتواصلة لكلمة الله والتي تجسدت في مجمل أفكاره ورغباته وأعماله طول حياته على الأرض. فالتجسد لم يتحقق في لحظة، ولم يفرغ المسيح ذاته عندما قبل أن يتجسد "أخلى ذاتَهُ وأتَّخَذَ صُورَةَ العَبدِ صارَ شَبهًا بالبَشَر وظَهَرَ في صورةِ الإنسان" (فيلبي 3: 7)، لكنه رافق يسوع التاريخي في حياتها كلها، منذ ميلاده حتى الصليب، ووسم كل فكرة وكل فعل وكل رغبة عاشها يسوع الإنسان، ووصل إلى ذروة "تخليه" على الصليب "في الرُّوح القُدُسِ ثبَتَ أنَّهُ أبنُ الله في القُدرَةِ بِقيامَتِهِ مِنْ بَينِ الأمواتِ" (روميه 1: 4). فالطاعة تُشكل المحيط الذي تجسد فيه والمُحدد لإيمانه اليومي المعُاش.

هذا الرباط بين الإيمان – والطاعة في حياة يسوع لم يأخذ حقه عند أصحاب المدرسة اللاهوتية التقليدية (المدرسية) التي جعلت يسوع منذ حداثته عارفًا ومنتبًا لمخطط الله بشأنه. لهذا فإن طاعته لم تمر بالمراحل المعروفة للطاعة من التمييز والصلاة والصراع المستمر لأجل إتخاذ قرار، كما هو الحال في نذر الطاعة الرهبانية اليوم. أسست هذه المدرسة تيارًا لاهوتيًا ينظر إلى المسيح، منذ طفولته، وهو يرى كل شيء بعين الآب. يَظهر يسوع كممثل يلعب دورًا مرسومًا له في السيناريو المُعد والمكتوب قبل تجسده. آدى يسوع دوره ببراعة وبأمانة! هذه الطريقة في قراءة تاريخ يسوع المسيح الإنسان "تفرغ" طاعة يسوع لآبيه من كل معنى، وتناقض فترات الاختلاء الطويلة، في ساعات الليل، التي سبقت اتخاذه لقرارت مهمة.

يتطلب الإيمان إصغاء وقبول، ولا يتم هذا دون قرار يختار فيه الشخص بين بدائل كثيرة.

من الممكن أن نُعلن إن يسوع هو إنسان كامل مثلنا في طبيعته البشربة وعلاقاته الاجتماعية والسياسية، ولكنه ليس مثلنا تمامًا إذا لم نُقر ونقبل بتدرجه في "الحكمة"، في نمو مستوى إيمانه، أنه كان متمتعًا، كغيره من البشر، بإمكانية القبول والرفض لمخطط الله. إذا لم نعترف هذا لا نستطيع ان نقول إنه شاركنا في طبيعتنا البشرية بالكامل.

ربما لا يعرف المسيح كل شيء، كما نتصور، فالبرغم من كونه إلمًا، تنبأ في مناسبات كثيرة بموته وقيامته، إلا أنه إذا كان له إدراك البشر، فأنه بحاجة لأن يتعلم بشأن شيء ما قبل أن يعرفه. لهذا يقول لوقا إنه "تدرج" في الحكمة، هذا يعني بأنه كان يتعلم. تعلم الصلاة، وقراءة ودراسة الكتاب المقدس، والتعرف على تقاليد شعبه. ولهذا صار نموذج للإنسان الكامل الذي عبر من خلال إيمانه عن طاعة الله التي وجد فها الغني الكامل وملء الحياة.

تعلم المسيح الطاعة، كما يقول كاتب الرسالة إلى العبرانيين بالإصغاء المستمر لكلمة الله ورفع الصلوات والتضرعات بلجاجة شديدة وقبوله لكلمته: "وهوَ الذي في أيّامِ حياتِهِ البَشَرِيَّةِ رفَعَ الصَّلُواتِ والتَّضَرُّعاتِ بِصُراخ شَديدٍ ودُموع إلى الله القادِرِ أَنْ يُخلِّصَهُ مِنَ المَوتِ، فاَستَجابَ لَه لِتَقواهُ. وتعَلَّمَ الطاعَةَ، وهوَ الابنُ، بِما عاناهُ مِنَ الألَّمِ" (إلى العبرانيين 5: 7- 8). فمسيرة حياة يسوع الأرضية بمجملها تكمن في الإصغاء المستمر لصوت الله والانتباه الكامل لفعال الله فيه وطاعته الكاملة لله في كل فكر أو تصرف أو فعل. وتُشكل الآلام والموت أسمى تعبير عن طاعة يسوع إلى أبيه، كما عبر بولس في نشيد فيلبي.

وهنا يجب ملاحظة إن الآلام والموت لم تكن في مخطط الله وبالتالي لا تكون هي "مظهر" طاعة يسوع الجذرية. الآلام والموت هي نتائج لرفض الإنسانية لله وسيطرة الشر على العالم والبشر، الأمر الذي دفع البعض لتعذيبه وصلبه. يتعارض الموت في حد ذاته مع إرادة الله. فالمسيح لم يربد الموت ولم يشتهيه. ففكرة الموت مربعة، وقد عبر عنها قائلا: "نفسى حزبنة جدًا حتى الموت". شعر المسيح في البستان بأن البشرية العنيدة والشر الذي تملك قلوبهم ستدفع به إلى الموت، فعبر عن أحساسه وهو موشك على الموت. وبالرغم من ذلك بقي أمينًا حتى النهاية لرسالته وللكلام الذي بشر به. كشف يسوع عن محبة الله الآب للبشر، بالرغم من الظلم والتعذيب. كشف يسوع عن إرادة ابيه بأن يخلص جميع البشر ويتحدوا معه في شركة من جديد بالرغم من الشر والموت.

عندما بدأ يسوع حياته العلنية أراد إحداث تغير في الحياة الدينية السائدة في وقته، فلاقي مقاومة كبيرة وردود أفعال مضادة وعنيفة من قبل الكتبة والفريسيين. ماذا يفعل إذن؟ لجأ إلى الكتاب المقدس، واختلى بنفسه طويلاً وصلى كثيرًا، وأشرك تلاميذه في الصلاة مرارًا (أخذ معه بطرس وبعقوب وبوحنا وصعد إلى الجبل ليصلى.. لوقا 9: 28). "رفَعَ الصَّلُواتِ والتَّضَرُّعاتِ بِصُراخ شَديدٍ ودُموع إلى الله القادِرِ أنْ يُخلِّصَهُ مِنَ المَوتِ"، قرر في النهاية استكمال طريقه

بالصعود إلى أورشليم (لوقا 9: 51). آمن بضرورة أن يصل إلى نهاية الطربق حتى لو كانت العاقبة هي الموت، الذي بدأت ملامحه في الظهور من خلال الرغبة التي أظهرها الكتبة في التخلص منه. بقى يسوع أمينًا إلى النهاية، "قد أَحَبَّ خاصَّتَه الَّذينَ في العالَم، فَبَلَغَ بِه الحُبُّ لَهم إلى أقْصى حُدودِه." (يوحنا 13: 1). إذ لم يؤمن وبقتنع يسوع بضرورة إعلان حقيقة الإنجيل الذي يبشر به حتى النهاية ولا يخشى عاقبة إعلانه هذا، حتى لو كانت عاقبتها الموت، لكانت إنتهت قصة يسوع بموته. لكن ما هي علامة تأكيد الآب لقرار يسوع؟ الوحي الإلهي الذي عبر فيه الله عن عدم تخليه عمن ينفذ إرادته، خاصة في الكتب الحكمية (الحكمة 2)، وكتابات الأنبياء وصور عبد يهوه

لم يسعى يسوع هذا المعنى إلى الموت، ولكن قرر قبوله عندما علم ما يدبره الكتبة والشعب له. كان عليه استكمال الطريق التي بدأها، دفعه حبه للبشرية إلى احتمال الكراهية والعنف والتعذيب البدني والنفسي الرهيب. أظهر يسوع، إنه بالرغم من الآلام الرهيبة إلا إنه سيتمسك للهاية بإعلان محبة الله وغفرانه. كشف يسوع عن عمق أعماق الثالوث، المحبة. أن جوهر الله المحبة. طبق يسوع إرادة الله، بأن يكشف لنا عن ذاته وعن محبته للبشر والسعى لأجل خلاصهم، بالرغم من أن كل الظروف كان ضد إرادة الله.

تظهر في البداية طاعة يسوع كأنها فشلٌ ذريع، وهذا ما شعر به تلاميذه فتركوه وهربوا. لم يفهموا إن في التسليم الواثق والكامل لله، بقلب يملؤه الرجاء بأن الله سيتدخل وبحقق إرادته هو طريق الخلاص. كانت القيامة هي جواب الله على طاعة يسوع، ولهذا نقول في قانون الإيمان: "أقامه الله من بين الأموات في اليوم الثالث". القوة الخلاصية للفصح وقيامة يسوع لا تعود إلى نجاح لتسلسلات تاربخية مُعدة بعناية، جيدة أو غير جيدة، خيرة أم شريرة، بل إلى قوة تمسك يسوع وطاعته لأبيه، بالرغم من الفشل الذربع الذي صادفه. لهذا يربط القديس بولس السر الفصحي بكلمة الطاعة، في الرسالة إلى أهل فيلبي: ".. أطاعَ حتى الموتِ، الموتِ على الصَّليبِ. فرَفَعَهُ الله أعطاهُ اَسمًا فَوقَ كُلِّ اَسم.." (فيلبي 2: 8- 9). تتأصل الطاعة الرهبانية في سر المسيح، العبد المتألم المشترك بمحبة، بإرادته الإنسانية، في إرادة الآب.

طاعة تلاميذ المسيح

لا يرتبط مفهوم الطاعة الإنجيلية، إذن، بمظاهر تقوية، بل يستند على نمط حياة يسوع المسيح في حياته الأرضية في علاقاته مع الله أبيه ومع أخوته. ففي إنجيل يوحنا يعلن يسوع عن منهجه في الحياة: "فما نزَلْتُ مِنَ السَّماءِ لأعمَلَ ما أُربِدُهُ أنا، بل ما يُربِدُهُ الذي أرسَلَني" (يو 6: 28). لا توجد حالة أو موقف يوافق تمامًا إرادة الله. فلكل حدث تاريخي يمكن أن يعيشه الإنسان

بصورة تخدمه في أن يصل من خلاله إلى أن يصبح ابنًا لله. يمكننا القول بأنه، في الطاعة، لا يغامر الشخص فقط بذاته، مُفرغًا إياها، ليعمل الله من خلاله إرادته. فالأحداث اليومية التي يمر بها الشخص لا يمكن أن تحقق له الخير الأسمى أو الحقيقة والعدل الكامل، لأن كل الخلائق محدودة وغير كاملة. إرادة الله هي الكمال بعينه والقداسة التي يسعى الشخص للوصول إلها عبر خبرات الحياة اليومية المعتادة والمحدودة. لذا فإن الطاعة ذات صفة فجائية وتجنح للتغلب على موقف راهن يجد الشخص نفسه فيه وبطلب منه أن "يتحرر من ذاته وبطيع الله بحربة". هذا ما يجعل للطاعة، أيضًا، صفة النبوبة، فكل مواقف الحياة المعتادة والمحدود تمثل حيرًا يتحرك فيه الله وبتدخل في التاريخ اليومي للشخص.

عندما يرغب مسيحي في عيش الطاعة لله لا يطلب أن تكون الحالة التي يعيشها متناسبة مع إرادة الله أو أن تكون قرارات الرؤساء متناغمة مع المخطط الإلهي. فمن الممكن أن تكون الحالة التي يمر بها المسيجي هي حالة ظلمٌ بَّيِّنْ، أو إن قرارات الرؤساء ظالمة ومتحيزة بصورة سافرة. على المُكرس أن يُطيع، بالرغم من الظروف المعاكسة والمتقلبة وأحيانًا الظالمة. المُكرس مدعو إلى الطاعة في جميع الحالات، العادلة والغير عادلة، الكاملة والغير كاملة. يكشف المُكرس بطاعته القوة الكامنة في المحبة والخير، القادرة على تحويل الشر إلى خير، الموت إلى حياة، متى استسلم الإنسان بثقة بنوبة بين يدى الله .

الطاعة، بالرغم من الظروف الغير مناسبة والغير ملائمة، تقودنا إلى ما هو أكثر عمقًا وأكثر جوهريًا للاحداث اليومية المعاشة، إلى المعنى لكل شيء، إلى المعنى من الحياة، إلى الملكوت المختبئ خلف الحياة اليومية المُعاشة. متى آمن الإنسان بأن إرادة الله تتجسد في الأحداث اليومية، فإنه يشهد وبعلن محبة الله في كل ما يمر به من أحدث، كما أعلن المسيح: "طعامي أنْ أعمَلَ بمَشيئةٍ الذي أَرْسَلني وأَتمّمَ عَمَلهُ" (يو 4: 34).

لا تعنى الطاعة القناعة بأن قرارات الأساقفة أو الرؤساء تُعبر تمامًا عن إرادة الله. فقرارات الرؤساء تخضع لتأثيرات ثقافية ولاعتبارات شخصية، وأحيانًا لتمييز جائر بين الأشخاص، فهي لا تعبر تمامًا عن إرادة الله. في مثل هذه المواقف الصعبة والغير عادلة، فإن المُكرس يتمسك بطاعة الله وعمل مشيئته. عندما ينصاع المُكرس إلى قرارت رؤساءه بالتزام وضمير نقي، بالرغم من عدم عدالته، فإنه يُعطي شهادة على تغليب روح المحبة والانصياع للقوانين الرهبانية ولمقتضيات الحياة الجماعية داخل الرهبنة، وفي كل هذا تحقيق وتأسيس لملكوت السموات: "طوبي لِلسَّاعينَ إلى السَّلام فإنَّهم أبناءَ اللهِ يُدعَون. طوبي لِلمُضِطَّهَدينَ على البرِّ فإنَّ لَهم مَلكوتَ السَّمَوات. طوبي لكم، إذا شَتَموكم واضْطَهدوكم وافْتَرَوْا علَيكم كُلَّ كَذِبٍ مِن أَجلي، اِفَرحوا وابْتَهجوا: إِنَّ أَجرَكم في السَّمَواتِ عظيم، فهكذا اضْطَهدوا الأَنبياءَ مِن قَبْلِكم" (متى 5: 9- 12). فالخير المُحقق من

قبول وتنفيذ قرارات الجماعة الرهبانية والرؤساء يتخطى العيب والخلل وعدم العدالة في ذات القرار. ففي طاعة المكرس، حتى في الأمور التي تحتمل الغبن والظلم، إعلاء لمحبة الله ولخير الجماعة.

مطالب أساسية للطاعة

1.1.1. التحرر من مرجعية الذات واستقلالها

خلق الله الإنسان على صورته ومثاله (تكوين 1: 26) أنّه خُلق حرًا. ولأنه حُرٌّ، فإن توقه لله ومحبته له لا تكون إلا بحربة. فعندما خلق الله آدم لم يفرض عليه محبته، وإنما هو مدعو بحربته أن يكون مع الله. ومن الممكن أن تدفع به الحربة إلى الانفصال عن الله والعيش بمعزل عنه. يحيا الإنسان في صراع دائم بين هاتين النزعتين المتعارضتين، بين توقه إلى الطاعة الله والتألف مع البشر، وبين الاستقلال عن الله والانفراد بذاته، فهي مرجعيته الوحيدة، رافضًا

وحدها طاعة المسيح هزمت هذه النزعة للحربة البشربة بالانفصال عن الله، إذ إنه أتم مشيئة الآب طيلة حياته وحتى موته على الصليب. فعصيان حُربة الإنسان قد هزمها المسيح بحُرِية طاعته الكاملة للآب. وان تسليمه الآب حُرِيته حتى آخر لحظة من حياته: "يا أبي، في يَدَيكَ أستَودِعُ رُوحي" (لوقا 23: 46)، قد حرر الحُربة البشربة من عصيانها وتمردها ونزعتها الاستقلالية. فالإيمان والمعمودية يتمم المسيحي مشيئة الله في حياته بفضل الروح القدس الساكن فيه (رومية .(6

يُعطى نذر الطاعة للمكرسين بُعدًا إضافيًا للتحرر من حربته ونزعته للاستقلال عن الله وبأن يُصبح مرجعًا لذاته. يُنذر المُكرس نذرًا يجعل الروح القدس يقود حياته قيادة مُطلقة، وذلك من خلال وساطة بشربة وذلك باختيار نمط حياة يسوع المطيع نفسه. فهو يضع حياته بين يدى الأسرة الرهبانية بثقة بنوبة متممًا مشيئة الله الذي اختاره لأجل تأسيس الملكوت. فالرئيس أو المرشد الروحي هو الضمان لكبح نزعة الاستقلال والمرجعية الذاتية التي تُهدد المُكرس في حياته الرهبانية. فتجربة الإنسان الأساسية بالاستقلال بمعزل عن الله يقاومها المُكرس بجعل الروح القدس يقود حياته من خلال رؤساءه أو مرشده الروحي، فيتخلى بإرادته أن يكون مرجع لذاته وقائدًا لحياته.

2.4.4. التحرر من التسلط على الآخرين

بجعل الروح القدس المُكرس يقود حياته من خلال رؤساءه أو مرشده الروحي، فيتخلى بإرادته

أن يكون مرجع لذاته وقائدًا لحياته. ليس حياته فقط، بل حياة الآخرين. فالمُكرس، مثل أي إنسان آخر، معرض للاستسلام لنزعة دفينة أخرى وهي التسلط على الآخرين وترأسهم والسيطرة عليهم وفرض الذات. وهي التجربة الثالثة التي أختبرها يسوع في البرية، إذ عرض عليه المُجرب: "فَأَراهُ جَميعَ مَمالِكِ الدُّنيا ومجدَها" (متى 4: 8). ولذلك فقد حذر يسوع تلاميذه من مغبة السيطرة عندما وقع جدالٌ بينهم في مَن يكونُ أكبرهم، قائلاً: "مُلوكُ الأمّم يَسودونَها، وأصحابُ السُّلطَةِ فيها يُربِدونَ أَنْ يَدعُوَهُمُ الناسُ مُحسِنينَ... أمَّا أنتُم، فما هكذا حالُكُم، بل ليَكُن الأكبَرُ فيكُم كالأصغر، والرَّئيسُ كالخادِمِ" (لوقا 22: 24- 26). يطلب المُكرس أن يخدم الآخرين لا أن يُخدم وبتسلط عليهم، أن يطيع لا أن يُطاع.

3.4.4. التحرر من الذات لأجل المحبة

إن انتصار حربة الله في شخص المُكرس لا يعني إنه يكف عن الاختيار. فإذا لم يَّعد يختار فإنه بذلك لم يَّعد يحب. نجاح الطاعة الرهبانية لا يكون، إذن، في أن تجعلنا نُحسن العمل، بل أن نُحب أحسن. والعبور من حربة الإنسان العتيق إلى حربة الإنسان الجديد لا يعني التخلي عن القرار الشخصي، بل إخضاع كل قرار لمحبة تعاكسه غالبًا، وتصلبه غالبًا، ولكنها تطهره دومًا لكي تنعشه. لذا يعبر التقليد الرهباني على إن الطاعة هي "تجرد"، "موت عن الذات"، أو مثلما علم القديس أغناطيوس دي لوبولا "الطاعة العمياء"، أو فرنسيس الأسيزي "الطاعة كالجثة"، أو آباء الصحراء المصربين "الطاعة كالعصا في يد صاحبها". كل هذه التعبيرات الصوفية تدلل على ضرورة التحرر من رغبات الإنسان الدفينة، كمرجعية ذاته واستقلالها والتسلط على الآخرين، للعبور من حربة الإنسان العتيق إلى الإنسان الجديد. يحمل هذا العبور ألما لأن "الزهد بالنفس" هو ضد طبيعة الإنسان ونزعاته الدفينة.

لا يعنى تجرد الذات انقاص كرامة الشخص البشري، بل البلوغ بها إلى النضوج بإنماء حربة أبناء الله (م. ك" 14). ففي كل مرةٍ يطيع المُكرس، تحت تأثير المحبة، سيُّقوم إرادة موسومة بالشر تجنح إلى الاستقلالية. وأمام طاعة المُكرس لا يتصرف الرئيس بإرادته حسبما يشاء، بل يتحلى هو أيضًا بروح الخضوع المتبادل: "ليَخضَعْ بَعضُكُم لِبَعض بمخافةِ المَسيح" (أفسس 5: 21)، واقفين أمام الله باتضاع، يحدوهما رغبة مشتركة واحدة في ترك ارادتهم للمسيح والمسيح لإرادة الآب المحب السماوي كي تتحول إرادة الجميع إلى خلاص العالم. هذا تصبو الجماعات الرهبانية إلى مُعايشة حياة أخوبة، حياة خدمة مُتبادلة، حياة شركة وأُلفة، على مثال جماعة أورشليم الأولى: "وكانَ جَماعةُ الْمؤمنينَ قَلبًا واحدًا ورُوحًا واحدَةً،" (أعمال 4: 32).

4.4.4. توجهات داخلية مطلوبة

هناك سلوكيات ومواقف روحية مطلوبة لكي يتحرر الإنسان من مرجعية ذاته ونزعته للاستقلال، يمكن اكتسابها في ثلاث نقاط:

الإصغاء المستمر لكلمة الله الذي يُحادثنا من خلال خبرات الحياة اليومية المُعاشة. نجاح الطاعة، كما سبق الاشارة، لا يكون في أن تجعلنا نُحسن العمل، بل أن نحب أحسن. والمحبة يتعلمها الإنسان من الإصغاء الواعي لكلام الله أثناء القيام بتلك الأعمال المطلوبة من قبل الرؤساء. موقف الإصغاء يأتي من القناعة بأن كل موقف من مواقف الحياة اليومية يُعبر في ذاته عن حقيقة أعمق وأغنى، حقيقة إلهية، فوق طبيعية، يمكن لنا أن نصغى إلها ونعرفها. كُل موقف من مواقف الحياة يحمل جزءً من الحقيقة والخير، لكنه ليس كل الحقيقة وليس كل الخير. الأشياء التي نراها اليوم مُّرةً، تحمل جزءً من الحقيقة الكلية التي تهدف لخلاصنا.

لهذا تأتى الطاعة مُحاطة بالصلاة، فالقرارات المهمة ليسوع سبقها فترات إختلاء وصلاة طويلة. فالصلاة هي التدريب الواعي للإصغاء والقبول. وحيث إن الإصغاء يجب أن يكون مستمرًا لأحداث الحياة اليومية الواقعية التي من الممكن أن تبعد المُكرس عن التواصل الفعال مع الله، بسبب قسوتها أحيانًا. تأتي الصلاة لتُعيد التوازن للحياة الروحية للمُكرس.

القصد النهائي هو "المشاركة في تأسيس ملكوت السموات"، تظهر على المستوى في النمو الروحي للشخص المُكرس. وعلى المستوى الجماعي سيادة نمط أخوي قائم على المحبة والعدل "الجماعة الواحدة" و "القلب الواحد" و "النفس الواحدة". من الأهمية عدم اعتبار إن "معيار الطاعة" هو عدم تنفيذ المُكرس لمخططاته الشخصية الخاصة، وتنفيذ ما قرره الرئيس أو الرئيسة. فمعيار الطاعة الحقيقي هو المحبة التي تتدفق داخل الجماعة، الخير الذي يجد طرق جديدة، حقيقة الملكوت التي تتأسس أمام العالم، بالرغم من بعض الأحدث، أو غالبًا، تكون قاسية أو غير مؤاتية.